المكتبة الخضراء للأطفال

٣٨

القدم الذهبية



قصص عربية

Arabic Stories

عام : منى جبر

المكتبة الخضراء للأطفال

(٣٨)

القدم الذهبية



بقلم : منى جبر

الطبعة السادسة





يُحْكَى أَنَّهُ كَانَ فِى سَالِفِ الْعَصْرِ وَالأوانِ مَدِينَةٌ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا مَدِينَةُ « الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ » . كَانَتْ مَدِينَةً جَمِيلَةً مَمْلُوءَةً بِالْحَدَائِقِ الْبَاسِقَةِ الْمَلِيئَةِ بِالأَزْهَار. كَانَ أَهْلُهَا أُنَاسًا طَيِّبِينَ يُحِبُّونَ الزُّهُورَ وَالْعَصَافِيرَ وَيُحِبُّونَ الْمَرحَ وَالْغِنَاءَ وَأَهْلُ مَدِينَةِ « الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ » مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ لَهُمْ أَقْدَامٌ كَبِيرَةٌ، وَلَمْ تَعْرِفْ مَدِينَةُ « الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ » طِفْلاً أَوْ طِفْلَةً لَهَا أَقْدَامٌ صَغِيرَةٌ كَالَّتِى نَعْرِفُهَا الآنَ. كَانَ يَحْكُمُ تِلْكَ الْمَدِينَةَ مَلِكٌ مَحْبُوبٌ يُسَمَّى ذَا الْقَدَمِ الْحَدِيدِيَّةِ، وَكَانَ مَلِكًا عَادِلاً وَكَرِيمًا لا يَظْلِمُ أَحَدًا؛ وَكَانَ يَتَجَوَّلُ دَائِمًا بَيْنَ رَعِيَّتِهِ لِيَتَطَلَّعَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ، وَيَرْعَى شُئُونَهُمْ، وَكَانَ يُسَمَّى ذَا الْقَدَمِ الْحَدِيدِيَّة، لأَنَّ قَدَمَهُ كَانَ يَصِلُ طُولُهَا إلى ثَلاثَةِ أَمْتَارٍ. وَكَانَ الْمَلِكُ

مُتَزَوِّجًا مِنْ مَلِكَةٍ جَمِيلَةٍ رَقِيقَةٍ مَحْبُوبَةٍ مِنَ الرَّعِيَّةِ، وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ جَمَالِ قَدَمَيْهَا، وَهِيَ بِدَوْرِهَا كَانَتْ تَتَبَاهَى بِأَنَّ حَجْمَيْهِمَا يَفُوقَانِ حَجْمَ قَدَمَيْ أَيِّ سَيِّدَةٍ أُخْرَى فِي الْمَمْلَكَةِ، وَكَانَ هَذَا مِقْيَاسَ الْجَمَالِ فِي بِلَادِ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ». وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ وَيَعْمَلُونَ فِي الْحَدَائِقِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِمَدِينَتِهِمْ، وَكَانُوا يَتَبَادَلُونَ الأَزْهَارَ فِيمَا بَيْنَهُمْ كَنَوْعٍ مِنَ الْوُدِّ وَالتَّحِيَّةِ، وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ سُوقٌ كَبِيرٌ يَلْتَقِي فِيهِ النَّاسُ وَيَتَقَابَلُونَ وَيَتَبَادَلُونَ الْحَدِيثَ، وَيَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ الْبَضَائِعَ الْمُخْتَلِفَةَ.

كَانَتْ مَدِينَةُ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ» بِلَادًا جَمِيلَةً، يُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ غَابَةٌ كَثِيفَةٌ. . وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنْ أَهَالِي الْبِلَادِ أَنْ يَدْخُلَ هَذِهِ الغَابَاتِ، فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنها هِيَ آخِرُ الْعَالَمِ، وَأَنَّهَا الْمَكَانُ الْمُفَضَّلُ لِلسَّحَرَةِ وَالْجِنِّيَّاتِ إِلاَّ غَابَةً وَاحِدَةً كَانَ يَعِيشُ فيها رَجُلٌ عَجُوزٌ طَيِّبٌ، يُحِبُّهُ كُلُّ النَّاسِ، كَانَ جَرِيئًا لَا يَهَابُ أَحَدًا. هَذَا الرَّجُلُ هُوَ عَمُّ «حَسَن» شَيْخُ الصَّيَّادِينَ.

كَانَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ يَعِيشَانِ فِي سَعَادَةٍ وَوِئَامٍ، فَقَدْ وَهَبَ الله لَهُمَا خَمْسَ فَتَيَاتٍ رَائِعَاتِ الْجَمَالِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تُبَارِي الأُخْرَى فِي جَمَالِهَا وَضَخَامَةِ قَدَمَيْهَا.

وَلَكِنَّ الْمَلِكَ كَانَ يَتَمَنَّى دَائِمًا أَنْ يَرْزُقَهُ الله ابْنًا لِيَكُونَ وَلِيًّا لِلْعَهْدِ.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَبَدَأَ الملكُ يَعيشُ فى قَلَقٍ، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ صِحَّةُ الْمَلِكَةِ على غَيْرِ ما يُرام، وَأَخَذَ يَدْعُو الله أَنْ يَشْفِيَهَا وَتَلِدَ لَهُ ابْنًا جميلاً يُصْبِحُ أَمِيرًا لِمَدِينَةِ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ».

وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ الطَّبِيبُ وَأَعْلَنَ الْخَبَرَ بِأَنَّ الْمَلِكَةَ تَنْتَظِرُ مَوْلُودًا جَدِيدًا،



عَمَّتِ الْفَرْحَةُ الْبِلَادَ طِوَالَ فَتْرَةِ إِنْتِظَارِ الْمَوْلُودِ. . وَفِى أَعْيَادِ الرَّبِيعِ خَرَجَ سُكَّانُ مَدِينَةِ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ» يُغَنُّون فِى الْحَدَائِقِ وَمَعَهُمْ بَاقَاتُ الزُّهُورِ الْجَمِيلَةِ. . وَلَكِنَّ الْفَرْحَةَ لَمْ تَتِمّ، فَقَدْ وَضَعَتِ الْمَلِكَةُ مَوْلُودَةً جَمِيلَةً. . وَعَلِمَ الْمَلِكُ بِالنَّبَإِ، فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَدْخُلَ حُجْرَةَ الْمَلِكَةِ، الأَمْرُ الَّذِى أَغْضَبَ الْحَكِيمَ الْعَجُوزَ «نُعْمَانَ» وَقَالَ لَهُ:

مَوْلَاىَ الْمَلِك. . بِرَغْمِ حُبِّى الشَّدِيدِ لَكَ وَبِرَغْمِ أَنِّى رَبَّيْتُكَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَالْعَدْلِ وَالْحُبِّ، فَإِنَّنِى أَرَاكَ الآنَ تَنْسَى أَنَّ هَذَا أَمْرُ الله، وَلَيْسَ فِى يَدِ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى مَا أَعْطَاهُ الْخَالِقُ.

وَطَلَبَ مِنْهُ الْحَكِيمُ الْعَجُوزُ أَنْ يَذْهَبَ عَلَى الْفَوْرِ لِيُطَيِّبَ خَاطِرَ زَوْجَتِهِ الْمَلِكَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَيُلاطِفَهَا.

رَفَضَ الْمَلِكُ. . وَأَعْلَنَ أَنَّهُ سَيَذْهَبُ فِى رِحْلَةِ صَيْدٍ مَعَ شَيْخِ الصَّيَّادِينَ فِى الْغَابَةِ الْبَعِيدَةِ.

إِنْدَهَشَ الْجَمِيعُ لِسَمَاعِهِمْ هَذَا الْخَبَر، فَكَيْفَ يَخْرُجُ مَلِكُهُم الْمَحْبُوبُ إِلَى الْغَابَةِ الَّتِى يَسْكُنُهَا السَّحَرَةُ وَالْجِنِّيَّاتُ؟ لَابُدَّ أَنَّ هُنَاكَ سِرًّا! وَتَهَامَسَ الْجَمِيعُ: وَمَا هُوَ السِّرُّ؟ حَاوَلَ الْحَكِيمُ «نُعْمَانُ» أَنْ يَمْنَعَ الْمَلِكَ مِنَ الْخُرُوجِ. . ولكنْ من غَيْرِ فائِدةٍ. . وَسَافَرَ الْمَلِكُ مَعَ شَيْخِ الصَّيَّادِينَ بِدُونِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَلِكَةِ.

حَزِنَتِ الْمَلِكَةُ حُزْنًا كَبِيرًا، وَحَزِنَ مَعَهَا أَهْلُ مَدِينَةِ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ» وَظَلَّتْ تَبْكِى بُكَاءً مُرًّا حَتَّى ضَعُفَ جَسَدُهَا، وَأَعْلَنَ الأَطِبَّاءُ أَنَّ حُزْنَهَا الشَّدِيدَ هُوَ سَبَبُ مَرَضِهَا. . وَمَرَّتِ الشُّهُورُ وَلَمْ يَعُدِ الْمَلِكُ، حَتَّى خَافَ الْجَمِيعُ أَنْ يَكُونَ أَصَابَهُ مَكْرُوهٌ.

وَلَكِنَّ الْمَلِكَ الَّذِى اعْتَرَضَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، خَرَجَ حَزِينًا فِى رِحْلَةِ الصَّيْدِ مَعَ شَيْخِ الصَّيَّادِينَ الَّذِى كَانَ يَعْرِفُ مَا أَصَابَ الْمَلِكَ مِنْ حُزْنٍ وَهَمٍّ، وَحَاوَلَ جَاهِدًا أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ. . وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَالْمَلِكُ يَطْلُبُ مِنْ شَيْخِ الصَّيَّادِينَ أَنْ يَسِيرَ فِى الْغَابَةِ إِلَى أَنْ وَصَلا إِلَى بِرْكَةِ مَاءٍ رَاكِدَةٍ، وَبِجِوَارِهَا شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ، تَكَادُ فُرُوعُهَا تَصِلُ إِلَى مَاءِ الْبِرْكَةِ، فَطَلَبَ الْمَلِكُ مِنْ شَيْخِ الصَّيَّادِينَ أَنْ يَسْتَرِيحَا قَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتْعَبًا فَرَاحَ فِى سُبَاتٍ عَمِيقٍ، وَعِنْدَمَا اسْتَغْرَقَ فِى نَوْمِهِ رَأَى حُلْمًا عَجِيبًا، رَأَى فِى حُلْمِهِ أَنَّه يَنَامُ فَوْقَ شَجَرَةٍ، وَالطُّيُورُ الْجَارِحَةُ : الصُّقُورُ وَالنُّسُورُ، تَنْقَضُّ عَلَيْهِ وَتُحَاوِلُ أَنْ تَفْتِكَ بِهِ، وَلَمْ يُنْقِذْهُ إِلاَّ عُصْفُورٌ صَغِيرٌ.

إِسْتَيْقَظَ الْمَلِكُ فَزِعًا فَلَمْ يَجِدْ شَيْخَ الصَّيَّادِينَ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ عُصْفُورًا جَرِيحًا يَئِنُّ بِجَانِبِهِ، فَأَخَذَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِى حَنَانٍ، فَشَكَرَهُ الْعُصْفُورُ وَقَالَ :

لَوْلاَ حَنَانُكَ يَامَوْلاَىَ مَا تَحَدَّثْتُ إِلَيْكَ، لأَنَّكَ ظَلَمْتَ الْمَلِكَةَ، وَاعْتَرَضْتَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَعُدْ إِلَى صَوَابِكَ وَاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ حَتَّى يُعَوِّضَكَ مَا فَاتَكَ، فَاللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ. وَفَجْأَةً لَمْ يَجِدِ الْمَلِكُ الْعُصْفُورَ، وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْ كَانَ مَا حَدَثَ حُلْمًا أَمْ حَقِيقَةً، وَنَظَرَ حَوْلَهُ فَوَجَدَ شَيْخَ الصَّيَّادِينَ، وَأَخْبَرَهُ عَمَّا وَجَدَ، وَأَنَّهُ نَادِمٌ أَشَدَّ النَّدَمِ. . فَفَرِحَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ وَقَالَ لَهُ :

كُنْتُ مُتَأَكِّدًا بِأَنَّ مَوْلاَىَ سَيَشْعُرُ بِالنَّدَمِ وَيَعُودُ لِيُسْعِدَ زَوْجَتَهُ وَأَهْلَهُ.

وَعَادَ الْمَلِكُ، وَعَادَتِ الْبَسْمَةُ إِلَى وَجْهِ الْمَلِكَةِ. . وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَالْمَلِكُ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لَهُ ابْنًا جَمِيلاً لِيَكُونَ وَلِيًّا لِلْعَهْدِ.

إِسْتَجَابَ اللَّهُ لِلدُّعَاءِ الصَّادِقِ، وَفِى صَبَاحِ أَحَدِ الأَيَّامِ أَعْلَنَ الأَطِبَّاءُ أَنَّ الْمَلِكَةَ تَنْتَظِرُ مَوْلُودًا.



وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالْمَلِكُ فِى شَوْقٍ يَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ إِلَى أَنْ حَلَّ مَوْعِدُ الْوِلَادَةِ، فَأُعْلِنَتِ الْأَفْرَاحُ وَاللَّيَالِى الْمِلَاحُ اسْتِعْدَادًا لِاسْتِقْبَالِ وَلِىِّ عَهْدِ بِلَادِ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ» وَكَانَتِ الْاسْتِعْدَادَاتُ وَالزِّينَاتُ فِى كُلِّ مَكَانٍ، وَالْمَلِكُ يَنْتَظِرُ قَلِقًا مَلْهُوفًا.

وَفَجْأَةً حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِى الْحُسْبَانِ. حَدَثَ هَرْجٌ وَمَرْجٌ فِى كُلِّ مَكَانٍ فِى الْقَصْرِ. وَتَسَاءَلَ الْمَلِكُ عَنِ الْخَبَرِ. وَلَكِنْ بِدُونِ جَوَابٍ. فَغَضِبَ أَشَدَّ



الْغَضَبِ، وَأَرْسَلَ فِي اسْتِدْعَاءِ طَبِيبِ الْقَصْرِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى الْمَلِكَةِ وَمَوْلُودِهَا.

وَدَخَلَ الطَّبِيبُ، وَسَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ صِحَّةِ الْمَلِكَةِ فَأَجَابَ:

الْمَلِكَةُ فِي خَيْرِ حَالٍ يَامَوْلاَيَ.

قَالَ الْمَلِكُ: وَمَالِي أَرَى الْجَمِيعَ فِي قَلَقٍ وَخَوْفٍ.. مَا الْخَبَرُ؟

أَجَابَ الطَّبِيبُ: لِيَأْذَنْ لِي مَوْلاَيَ، فَقَدْ حَدَثَ شَيْءٌ غَرِيبٌ لَمْ نَرَهُ مِنْ قَبْلُ.

قَالَ الْمَلِكُ: أَخْبِرْنِي بِسُرْعَةٍ، مَاذَا حَدَثَ؟

قَالَ الطَّبِيبُ: لَقَدْ وَضَعَتِ الْمَلِكَةُ أَمِيرًا صَغِيرًا جَمِيلَ الطَّلْعَةِ، وَلَكِنَّهُ لِلأَسَفِ يَامَوْلاَيَ غَرِيبٌ. شَدِيدُ الْغَرَابَةِ. فَلَهُ قَدَمَانِ صَغِيرَتَانِ لاَ تُشْبِهَانِ أَيَّ أَقْدَامٍ فِي الْمَدِينَةِ..

صُدِمَ الْمَلِكُ عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا الخَبَرَ، إِذْ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلِيٌّ لِلْعَهْدِ غَرِيبُ الشَّكْلِ، ذُو قَدَمَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ؟ وَتَحَيَّرَ الْمَلِكُ مَاذَا يَفْعَلُ، ثُمَّ أَمَرَ بِاجْتِمَاعٍ عَاجِلٍ لِلْحُكَمَاءِ وَالأَطِبَّاءِ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ إِيجَادَ حَلٍّ لِهَذِهِ الْمُشْكِلَةِ، غَيْرَ أَنَّ الْجَمِيعَ أَعْلَنُوا أَنَّهُ لاَجَدْوَى مِنْ عَمَلِ أَيِّ شَيْءٍ، فَالأَمِيرُ الصَّغِيرُ سَيَشِبُّ مُخْتَلِفًا عَنْ بَاقِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لأَنَّ قَدَمَيْهِ صَغِيرَتَانِ بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ..

وَأَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يَسْتَشِيرَ الْحَكِيمَ نُعْمَانَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يَجْتَمِعَ بِأَهْلِ الْبِلاَدِ، وَيَطْلُبَ مِنْهُمْ أَنْ يَعِيشَ الأَمِيرُ قَرِيبًا مِنْهُمْ فِي كُوخٍ خَارِجَ الْغَابَةِ مَعَ شَيْخِ الصَّيَّادِينَ، حَتَّى يَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُطَبِّقُ قَانُونَ الْبِلاَدِ.

قَبِلَ الْمَلِكُ ذَلِكَ، وَبَعْدَ أَنْ وَافَقَ الشَّعْبُ، أَرْسَلَ الأَمِيرَ الصَّغِيرَ مَعَ أَحَدِ

الْحُرّاسِ إِلَى شَيْخِ الصَّيّادِينَ لِيَتَرَبَّى وَيَتَعَلَّمَ حِرْفَةَ الصَّيْدِ، وَيُصْبِحَ صَيّادًا

مَرَّتِ الْأَيّامُ، وَعَلِمَ النَّاسُ جَمِيعًا أَنَّ الْأَمِيرَ الصَّغِيرَ واسْمُهُ «بَدْرٌ» يَعِيشُ مَعَ شَيْخِ الصَّيّادِينَ، وَيَتَعَلَّمُ مِهْنَةَ الصَّيْدِ، وَأَنَّ الْقَدَرَ حَرَمَهُ الْعَيْشَ وَالْحَياةَ الْمُتْرَفَةَ فِى الْقَصْرِ، لأَنَّهُ لا يُشْبِهُ أَهالِى الْمَدِينَةِ، وَقَدَماهُ صَغِيرَتانِ.

وَمَرَّتِ الْأَيّامُ، وَكَبِرَ الْأَمِيرُ بَدْرٌ، وَأَصْبَحَ غُلامًا رَقِيقًا جَمِيلاً طَيِّبَ الْقَلْبِ، يُحِبُّ النَّاسَ جَمِيعًا، وَكَانَ يُدْهِشُ الْجَمِيعَ بِطَرِيقَتِهِ الْغَرِيبَةِ عَنْ أَهْلِ الْبِلادِ فِى الْجَرْىِ وَالْقَفْزِ وَاللَّعِبِ، هَذِهِ الطَّرِيقَةُ الَّتِى لَمْ يَعْرِفْهَا أَطْفَالُ الْمَدِينَةِ مِنْ قَبْلُ. وَكَانَ أَكْثَرَ ما يُضايِقُ الْأَمِيرَ بَدْرًا أَنَّ الْأَطْفَالَ يَتَنَدَّرُونَ عَلَيْهِ وَيَبْتَعِدُونَ عَنْهُ، وَيُسَمُّونَهُ قَدَمَ الْجِنِّيَّةِ.

لِذَلِكَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ حَزِينًا يائِسًا باكِيًا، يَتَجَوَّلُ فِى الْغَابَاتِ الْكَبِيرَةِ وَحِيدًا، يُحَدِّثُ الطُّيُورَ وَالْأَعْشَابَ وَالْأَشْجَارَ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى غِنَاءِ الْعَصَافِيرِ وَيَشْكُو لَهَا هَمَّهُ وَحُزْنَهُ.

وَفِى أحد الْأَيّامِ ، كَانَ الْأَمِيرُ يَتَجَوَّلُ فِى الْغَابَةِ فَشَعَرَ بِالتَّعَبِ، فَجَلَسَ وَاسْتَنَدَ إِلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ، وَوَضَعَ قُبَّعَتَهُ بِجَانِبِهِ، وَفَجْأَةً رَأَى صَقْرًا كَبِيرًا كاسِرًا يُحاوِلُ الْهُجُومَ عَلَى عُصْفُورٍ صَغِيرٍ لا حَوْلَ لَهُ وَلاَ قُوَّةَ، وَبِشَجاعَةٍ كَبِيرَةٍ تَقَدَّمَ الأَمِيرُ «بَدْرٌ» نَحْوَ الْعُصْفُورِ وَأَخْفاهُ بِقُبَّعَتِهِ مِنَ الصَّقْرِ الْكَاسِرِ حَتَّى ابْتَعَدَ تَمامًا. ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ عَنِ الْقُبَّعَةِ لِيَتْرُكَ الْعُصْفُورَ حُرًّا آمِنًا طَلِيقًا بَعْدَ أَنْ زَالَ الْخَطَرُ. وَفَجْأَةً رَأَى الْأَمِيرُ «بَدْرٌ» رَجُلاً صَغِيرَ الْحَجْمِ ، كَبِيرَ السِّنِّ، يَصِلُ عُمْرُهُ إِلَى مِائَةِ عامٍ، رَآهُ بِداخِلِ الْقُبَّعَةِ بَدَلاً مِنَ الْعُصْفُورِ. تَعَجَّبَ الْأَمِيرُ وَفَزِعَ وَسَأَلَ : مَنْ تَكُونُ أَيُّها الْعُصْفُورُ أَعْنِى : أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟

فَرَدَّ الرَّجُلُ بِصَوْتٍ رَقِيقٍ : أَشْكُرُكَ يَابُنَىَّ ، أَشْكُرُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ بَدْرٌ ، فَقَدْ أَنْقَذْتَ حَيَاتِى وَأَنَا مَدِينٌ لَكَ بِهَا .

تَعَجَّبَ الْأَمِيرُ وَقَالَ : وَهَلْ تَعْرِفُنِى ؟

فَرَدَّ الرَّجُلُ : نَعَمْ أَعْرِفُكَ ، وَأَعْرِفُ قِصَّتَكَ . . وَسَأَكُونُ صَدِيقًا لَكَ مَدَى الْحَيَاةِ .

فَرَدَّ الْأَمِيرُ : مَنْ تَكُونُ ؟

قَالَ الرَّجُلُ : أَنَا « أَبُو الْحَسَنِ » أَمِيرُ الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ . إِنَّهَا لَيْسَتْ بَعِيدَةً عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَلَكِنْ يَصْعُبُ عَلَى أَىِّ مَخْلُوقٍ أَنْ يَدْخُلَهَا وَحِيدًا .

قَالَ الْأَمِيرُ : وَلَكِنَّ حَجْمَكَ صَغِيرٌ جِدًّا .

قَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ ، فَفِى بِلَادِنَا كُلُّنَا أَحْجَامُنَا صَغِيرَةٌ . . وَالْآنَ يَا صَدِيقِى سَأَتْرُكُكَ ، لِأَنِّى تَأَخَّرْتُ وَسَيَقْلَقُونَ عَلَىَّ ، وَمِنَ الآنَ إِذَا احْتَجْتَ إِلَى أَىِّ شَىْءٍ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُنَادِىَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَتَقُولُ : « مِنَ الْقَلْبِ أُنَادِيكَ يَاذَا الْقَدَمِ الذَّهَبِيَّةِ » ، وَسَأَكُونُ عِنْدَكَ أَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرِ .

قَالَ الْأَمِيرُ : وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَنِى ، أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سُؤَالًا ، وَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ هَذَا تَطَفُّلًا مِنِّى .



رَدَّ الرَّجُلُ : أَعْلَمُ مَا تُرِيدُ مَعْرِفَتَهُ.
قَالَ الأَمِيرُ : حَقًّا؟
رَدَّ الرَّجُلُ : أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ سِرَّ الْعُصْفُورِ الَّذِي تَحَوَّلَ أَمَامَكَ إِلَى رَجُلٍ صَغِيرٍ..

مُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ تَصِلُ إِلَى عَشْرِ سَنَوَاتٍ، كُنْتُ أَعِيشُ سَعِيدًا فِي بِلَادِي الْجَمِيلَةِ «الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ» الَّتِي سُمِّيَتْ بِهَذَا الاسْمِ لِجَمَالِ الأَشْجَارِ وَالأَزْهَارِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ اتِّجَاهٍ.. كُنْتُ أَعِيشُ سَعِيدًا مَعَ أَوْلَادِي وَبَنَاتِي، أَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَأُوَفِّرُ لَهُمُ الأَمَانَ، وَلَكِنْ فِي يَوْمٍ مَشْئُومٍ ظَهَرَ فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ شِرِّيرٌ كَانَ صَدِيقًا لأَحَدِ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ.. وَشَارَكَهُ فِي تِجَارَتِهِ، وَأَتَى إِلَى الْمَدِينَةِ لِكَيْ يَسْتَقِرَّ بِهَا.. وَفِي بِدَايَةِ الأَمْرِ لَمْ يَظْهَرْ أَنَّهُ شِرِّيرٌ، وَكَوَّنَ صَدَاقَاتٍ كَثِيرَةً، وَأَحَبَّهُ النَّاسُ وَوَثِقُوا بِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ مُخَادِعًا شِرِّيرًا كَانَ يَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الرَّجُلِ الطَّيِّبِ، وَيُخْفِي حَقِيقَتَهُ الشِّرِّيرَةَ.. وَعِنْدَمَا شَعَرَ أَنَّهُ أَصْبَحَ قَوِيًّا بِمَالِهِ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ مَالٍ وَأَصْدِقَاءَ بَدَأَ يَظْهَرُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَبَدَأَ فِي سَرِقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَزَادَتْ شُرُورُ هَذَا الرَّجُلِ، وَحَاوَلْتُ بِكُلِّ طَاقَتِي أَنْ أَمْنَعَهُ بِالْمَشُورَةِ وَالنُّصْحِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي وَزَادَ فِي ظُلْمِهِ لِلنَّاسِ.. فَأَمَرْتُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَمُصَادَرَةِ أَمْوَالِهِ، وَأَعْطَيْتُ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.. وَأَعْلَنْتُ عَنْ مُحَاكَمَتِهِ مُحَاكَمَةً عَلَنِيَّةً أَمَامَ الْجَمِيعِ.. وَكَانَ يَوْمُ الْمُحَاكَمَةِ يَوْمًا عَصِيبًا، فَعِنْدَمَا كَانَ الْجَمِيعُ يُنْصِتُونَ لِلْمُحَاكَمَةِ، إِذْ أَظْلَمَتِ الْمَدِينَةُ مِنْ حَوْلِنَا فَجْأَةً، وَسَمِعْنَا قَهْقَهَةً عَالِيَةً، وَظَهَرَ فِي الْجَوِّ نَسْرٌ كَبِيرٌ، عَيْنَاهُ كَأَنَّهُمَا لَهَبٌ، وَأَجْنِحَتُهُ بِهَا حِرَابٌ كَثِيرَةٌ، وَاخْتَطَفَ الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِنَا، وَسَمِعْنَا صَوْتًا يَقُولُ: اللَّعْنَة

عَلَى الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ، إِنَّ أَمِيرَكُمْ سَيُصْبِحُ عُصْفُورًا صَغِيرًا لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ، وَسَأَتْرُكُهُ فِي الْغَابَةِ لِيَكُونَ طَعَامًا سَهْلًا لِلطُّيُورِ الْجَوَارِحِ : لِلنُّسُورِ وَالصُّقُورِ. أَمَّا أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْكُمْ بِالدُّمُوعِ . . وَلَوْ لَمْ يَبْطُلِ السِّحْرُ عَنْ أَمِيرِكُمْ حَتَّى ذَلِكَ الْحِينِ فَسَتَمُوتُونَ تِبَاعًا.

مَرَّتْ لَحَظَاتُ ذُهُولٍ وَسَطَ الظَّلَامِ الْغَرِيبِ، وَاخْتَفَى النَّسْرُ الْمُتَوَحِّشُ وَمَعَهُ الرَّجُلُ الشِّرِّيرُ. . وَفَجْأَةً تَحَوَّلْتُ إِلَى عُصْفُورٍ صَغِيرٍ جِدًّا، وَبَدَأَ شَعْبِي يَبْكِي، وَلَكِنَّ الْبُكَاءَ لَمْ يَمْنَعِ النَّاسَ مِنْ مُحَاوَلَةِ إِيجَادِ الْحَلِّ، وَأَخَذْنَا نَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ، وَذَهَبَ أَحَدُ أَصْدِقَائِي إِلَى سَيِّدَةٍ طَيِّبَةٍ تَعِيشُ فِي الْغَابَةِ، وَتَعْلَمُ الْكَثِيرَ مِنْ أَسْرَارِ السِّحْرِ، وَأَخَذَنِي مَعَهُ، وَلَكِنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِهَا أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا لِإِبْطَالِ هَذَا السِّحْرِ، وَلَكِنَّهَا أَمَرَتْنَا أَنْ نَذْهَبَ لِنَعِيشَ فِي هَذِهِ الْغَابَةِ الَّتِي قَابَلْتُكَ فِيهَا، وَأَخْبَرَتْنَا أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَنَا مِنْ هَذَا السِّحْرِ شَخْصٌ حَزِينٌ طَيِّبٌ مَظْلُومٌ، وَلَكِنَّهُ يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ، وَلَمْ تَتَحَدَّثْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وَهَأَنَذَا أَمَامَكَ مَدِينٌ لَكَ بِالْكَثِيرِ، فَقَدْ أَنْقَذْتَنِي وَأَنْقَذْتَ شَعْبِي سُكَّانَ الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ، لِذَلِكَ لَا تَتَرَدَّدْ فِي أَنْ تَلْجَأَ إِلَيَّ فِي أَيِّ شَيْءٍ تَطْلُبُهُ أَوْ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ. . وَالآنَ أَسْتَأْذِنُكَ فِي الانْصِرَافِ، لأَنِّي يَجِبُ أَنْ أُسْرِعَ لِلِقَاءِ عَائِلَتِي وَشَعْبِي. . إِلَى اللِّقَاءِ. . إِلَى اللِّقَاءِ.

وَفَجْأَةً اخْتَفَى الرَّجُلُ الْقَزَمُ، وَوَقَفَ الأَمِيرُ مَبْهُورًا بِمَا رَآهُ، وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَلَمْ يُحَدِّثْ أَحَدًا بِمَا رَآهُ، وَكَتَمَ سِرَّهُ فِي نَفْسِهِ.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَهَلَّتْ لَيَالِي الرَّبِيعِ وَبَدَأَتِ الاحْتِفَالاتُ فِي بِلَادِ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ» وَكَانَ الْجَمِيعُ يُغَنُّونَ وَيَمْرَحُونَ وَيَلْهُونَ حَوْلَ النَّارِ،

وَيَلْبَسُونَ عُقُودًا جَمِيلَةً مُلَوَّنَةً مِنَ الْأَزْهَارِ والرَّياحِين.

وَانْضَمَّ إِلَيْهِمُ الأَمِيرُ بَدْرٌ، غَيْرَ أَنَّ الْجَمِيعَ رَفَضُوا أَنْ يُشَارِكَهُمْ ذُو الْقَدَمَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ لَهْوَهُمْ وَأَفْرَاحَهُمْ. حَزِنَ الأَمِيرُ حُزْنًا شَدِيدًا وَتَرَكَ الْمَدِينَةَ بَائِسًا مُعَذَّبًا، وَجَلَسَ وَحِيدًا فِي الْغَابَةِ يَنْظُرُ إِلَى قَدَمَيْهِ، سِرِّ عَذَابِهِ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ أَبَا الْحَسَنِ ذَا الْقَدَمِ الذَّهَبِيَّةِ، فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَنَادَاهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَائِلًا: «مِنَ الْقَلْبِ أُنَادِيكَ يَاذَا الْقَدَمِ الذَّهَبِيَّةِ». ثُم فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَرَأَى أَبَا الْحَسَنِ يَقِفُ أَمَامَهُ، بِمَلَابِسِهِ الْجَمِيلَةِ.





وَقَالَ لَهُ : هَأَنَذَا أُلَبِّى نِدَاءَكَ يَا أَميرُ مَاذَا تُرِيدُ؟

قَالَ الْأَمِيرُ : أَنَا حَزِينٌ وَحِيدٌ، وأَهلُ بِلَادِى يَرْفُضُونَ اللَّعِبَ مَعِى أَوْ مُشَارَكَتِى فِى أَفْرَاحِهِمْ لِأَنَّنِى غَرِيبٌ. قَدَمَاىَ صَغِيرَتَانِ وَلَيْسَتْ كَأَقْدَامِهِمْ.

فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لَا تَحْزَنْ، سَآخُذُكَ إِلَى بِلَادِى، فَكُلُّ أَهْلِ بِلَادِى صِغَارٌ وَأَقْدَامُهُمْ صَغِيرَةٌ. وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تُعَاهِدَنِى عَلَى شَىْءٍ وَاحِدٍ.

رَدَّ الْأَمِيرُ عَلَى الْفَوْرِ : أُعَاهِدُكَ عَلَى كُلِّ مَا تَطْلُبُ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : يَجِبُ أَلَّا تَبُوحَ لأَىِّ مَخْلُوقٍ عَمَّا تُشَاهِدُهُ.

قَالَ الْأَمِيرُ : أَعِدُكَ بِذَلِكَ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : إِذَنْ أَغْمِضْ عَيْنَيْكَ وَانْتَظِرْ حَتَّى أَطْلُبَ مِنْكَ أَنْ تَفْتَحَهُمَا.

أَطَاعَ الْأَمِيرُ بَدْرٌ وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَبُو الْحَسَنِ أَنْ يَفْتَحَهُمَا، فَفَعَلَ، وَنَظَرَ حَوْلَهُ فَرَأَى بُقْعَةً مِنْ أَجْمَلِ بِقَاعِ الدُّنْيَا : الْأَشْجَارُ وَالْأَزْهَارُ وَالْمَنَازِلُ كُلُّهَا أَلْوَانٌ زَاهِيَةٌ جَمِيلَةٌ. وَرَأَى الْقَمَرَ سَاطِعًا، يُرْسِلُ أَشِعَّتَهُ الْفِضِّيَّةَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ كَمَا رَأَى بُحَيْرَةً جَمِيلَةً، وَسَمِعَ أَصْوَاتًا مَلَائِكِيَّةً تَتَرَنَّمُ بِأَنْغَامٍ حُلْوَةٍ. فَقَالَ الْأَمِيرُ : مِنْ أَيْنَ تَأْتِى هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟

فَأَشَارَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى مَكَانٍ لَيْسَ بِبَعِيدٍ، فَرَأَى الْأَمِيرُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ وَالشَّبَابِ وَالنِّسَاءِ، كُلُّهُمْ يُشْبِهُونَ أَبَا الْحَسَنِ، وَيَلْبَسُونَ مَلَابِسَ خَضْرَاءَ مُزَرْكَشَةً زَاهِيَةً، وَيُغَنُّونَ وَيَرْقُصُونَ وَيَمْرَحُونَ. تَقَدَّمَ مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ وَقَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْأَمِيرَ وَقَالَ لَهُمْ : هَذَا صَدِيقُنَا الْجَدِيدُ الْأَمِيرُ بَدْرٌ.

فَاسْتَقْبَلُوهُ إِسْتِقْبَالاً جَمِيلاً، وَأَمْضَى مَعَهُمْ وَقْتًا مُمْتِعًا.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ تَعَوَّدَ الْأَمِيرُ بَدْرٌ، بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ أَعْمَالِهِ مَعَ شَيْخِ الصَّيَّادِينَ، أَنْ يَحْضُرَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ لِيَنْسَى أَحْزَانَهُ، وَيَلْهُوَ وَيَمْرَحَ مَعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الطَّيِّبِينَ.

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَأَيَّامٌ، وَفِي يَوْمٍ ذَهَبَ الْأَمِيرُ كَعَادَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ، فَإِذَا الْجَمِيعُ فِي حُزْنٍ وَوُجُوم، وَسَأَلَ عَنِ السَّبَبِ، فَعَلِمَ أَنَّ ابْنَةَ أَبِي الْحَسَنِ أُصِيبَتْ بِجُرْحٍ بَالِغٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُعَالِجَها. فَطَلَبَ الْأَمِيرُ رُؤْيَتَها وَقَالَ لِأَبِي الْحَسَنِ : اِسْمَحْ لِي يَاصَدِيقِي أَنْ أَرَاهَا، فَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ الْكَثِيرَ مِنْ أَسْرَارِ الدَّوَاءِ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي رَبَّانِي، وَهُوَ شَيْخُ الصَّيَّادِينَ، فَقَدْ عَلَّمَنِي كَيْفَ أَخْتَارُ مِنَ الْأَعْشَابِ مَا يُفِيدُ لِحَالَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَرُبَّمَا اسْتَطَعْتُ مُسَاعَدَتَهَا.

وَافَقَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى الْفَوْرِ، وَأَحْضَرَ لَهُ إِبْنَتَهُ الصَّغِيرَةَ، فَلَمَّا رَآهَا الْأَمِيرُ كَانَتْ تَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا. رَقَّ لَهَا قَلْبُ الْأَمِيرِ، وَانْدَفَعَ مُسْرِعًا إِلَى الْغَابَةِ يَجْمَعُ بَعْضَ الْأَعْشَابِ وَالنَّبَاتَاتِ، وَبَعْدَ أَنْ جَمَعَهَا قَطَّعَهَا وَخَلَطَهَا بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ، ثُمَّ أَسْرَعَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْفَتَاةِ وَوَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى جُرْحِهَا، وَمَا إِنْ مَرَّتْ لَحَظَاتٌ حَتَّى تَوَقَّفَتِ الدِّمَاءُ، وَعَادَتِ الْاِبْتِسَامَةُ إِلَى وَجْهِ الصَّغِيرَةِ الْجَمِيلَةِ، وَشَكَرَتْهُ وَقَالَتْ : لَنْ أَنْسَى صَنِيعَكَ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَصَوَّرُ أَنَّ آلامِي لَنْ تَهْدَأَ.

فَرَدَّ الْأَمِيرُ قَائِلًا : لَا شُكْرَ عَلَى وَاجِبٍ، وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيَّ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : لَقَدْ أَصْبَحْنَا الْآنَ مَدِينِينَ لَكَ بِحَيَاتِي وَحَيَاةِ ابْنَتِي، فَلَكَ أَنْ تَطْلُبَ أَيَّ جَزَاء.

رَدَّ الْأَمِيرُ مُعَاتِبًا : إِنَّنِي أَشْعُرُ أَنِّي وَاحِدٌ مِنْكُمْ، وَلَا أَسْتَحِقُّ جَزَاءً



عَلَى وَاجِبٍ كَانَ يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ، لَقَدْ أَكْرَمْتُمُونِى وَجَعَلْتُمُونِى أَشْعُرُ بِأَنَّ لِى أَهْلًا وَأَصْدِقَاءَ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ مُعَذَّبًا وَحِيدًا، وَجَاءَ الْوَقْتُ لأَرُدَّ لَكُمْ جُزْءًا مِنْ مَعْرُوفِكُم.

عَادَ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ إِلَى شَيْخِ الصَّيَّادِينَ فَوَجَدَهُ قَلِقًا عَلَيْهِ، لأَنَّهُ لَمْ يَتَعَوَّدْ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَطَمْأَنَهُ الْأَمِيرُ، وَدَخَلَ إِلَى حُجْرَتِهِ وَأَخْرَجَ هَدِيَّةَ ابْنَةِ أَبِى الْحَسَنِ : الْكُرَةَ الْبَلُّورِيَّةَ، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ فِى أَشْيَاءَ وَيَنْظُرُ إِلَى الْكُرَةِ الْبَلُّورِيَّةِ الْمَسْحُورَةِ، فَيُشَاهِدُ مَا يُفَكِّرُ فِيهِ وَكَأَنَّهُ مُجَسَّمٌ أَمَامَهُ تَمَامًا، رَأَى وَالِدَتَهُ وَوَالِدَهُ الْمَلِكَ، وَرَأَى الْقَصْرَ الْكَبِيرَ الَّذِى لَمْ يَحْظَ بِالْحَيَاةِ فِيهِ. ثُمَّ فَكَّرَ الْأَمِيرُ أَنْ يُشَاهِدَ أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَفَكَّرَ فِى أَطْرَافِ الْغَابَةِ الْبَعِيدَةِ، وَحَمْلَقَ فِى الْكُرَةِ الْبَلُّورِيَّةِ فَرَأَى حَدِيقَةً جَمِيلَةً لِقَصْرٍ كَبِيرٍ، وَرَأَى فَتَاةً جَمِيلَةً تَجْلِسُ وَقَدْ غَطَّتْ قَدَمَيْهَا، وَشَعْرُهَا الذَّهَبِىُّ يَلْمَعُ وَكَأَنَّهُ الشَّمْسُ، أَخَذَ الْأَمِيرُ يَنْظُرُ إِلَى الْفَتَاةِ، وَقَدْ



أُعْجِبَ بِهَا كَثِيرًا، وَتَأَثَّرَ حِينَمَا رَأَى الدُّمُوعَ فِى عَيْنَيْهَا. أَخَذَ الأَمِيرُ يُفَكِّرُ فِى سَبَبِ حُزْنِ هَذِهِ الْفَتَاةِ الْجَمِيلَةِ، وَتَمَنَّى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ لِيُخَفِّفَ مِنْ أَحْزَانِها.

وَبَيْنَمَا كَانَ يَجْلِسُ حَزِينًا مُكْتَئِبًا يُفَكِّرُ إِذْ سَمِعَ صَوْتًا يَعْرِفهُ جَيِّدًا يُنَادِيهِ . . إِنَّهُ أَبُو الْحَسَنِ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الأَمِيرُ؟ لَقَدْ قَلِقْنَا عَلَيْكَ، وَمَرَّتْ أَيَّامٌ لم نَرَكَ فِيهَا، وَمَالِى أَرَاكَ الآنَ حَزِينًا مُكْتَئِبًا!

لَمْ يَرُدَّ الأَمِيرُ، وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بالدُّمُوعِ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ أَبُو الْحَسَنِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّى أَعْتَبِرُكَ وَاحِدًا مِنْ أَبْنَائِى فَأَخْبِرْنِى بِمَا يَشْغَلُكَ لَعَلِّى أَسْتَطِيعُ مُسَاعَدَتَك.

قَالَ الأَمِيرُ وَقَدْ أَخْرَجَ كُرَتَهُ الْبَلُّورِيَّةَ لِيُرِيَهَا لأَبِى الْحَسَنِ : أُنْظُرْ يَا صَدِيقِى ! هَذِهِ الْفَتَاةُ هِىَ سَبَبُ حَيْرَتِى وَآلاَمِى، إِنَّنِى أَتَمَنَّى أَنْ أَرَاهَا وَأَرَى الابْتِسَامَةَ تُشْرِقُ فِى وَجْهِهَا.

رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ : إِذَنْ هَيَّا بِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ وَسَأَحْكِى لَكَ قِصَّةَ هذِهِ الْفَتَاةِ.

ذَهَبَ الأَمِيرُ بَدْرٌ مَعَ أَبِى الْحَسَنِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ، حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُ أَهْلُهَا مُرَحِّبِينَ، وَكَانَ الأَمِيرُ مُتَشَوِّقًا لِسَمَاعِ قِصَّةِ الْفَتَاةِ الذَّهَبِيَّةِ الشَّعْرِ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : إِنَّهَا الأَمِيرَةُ «زَهْرَةُ الشَّمْسِ»، ابْنَةُ مَلِكِ بِلَادِ «شِيكُوزِيَا».

قَالَ الأَمِيرُ : وَلَكِنِّى أَرَى قَدَمَيْهَا كَبِيرَتَيْنِ مِثْلَ أَقْدَامِ أَهَالِى بِلَادِ «الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ» مَعَ أَنَّنِى شَاهَدْتُ الْكَثِيرِينَ مِمَّنْ يَعِيشُونَ مَعَهَا فِى الْقَصْرِ، وَأَقْدَامُهُمْ صَغِيرَةٌ

مِثْلُ قَدَمَىَّ.. فَمَا السِّرُّ فِى ذَلِكَ؟

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : إِنَّ سِرَّ بُكَاءِ الْأَمِيرَةِ هُوَ سِحْرٌ أَصَابَهَا مِنْ مَلِكٍ طَمَّاعٍ شِرِّيرٍ، وَأَصَابَ السِّحْرُ قَدَمَيْهَا الْجَمِيلَتَيْنِ فَأَصْبَحَتَا بِهَذَا الْحَجْمِ الْغَرِيبِ بَيْنَ أَهَالِى هَذِهِ الْبِلَادِ. لِذَلِكَ فَهِىَ حَزِينَةٌ، دَائِمَةُ الْبُكَاءِ.

سَأَلَ الْأَمِيرُ بَدْرٌ : وَلَكِنْ مَا السَّبِيلُ إِلَى إِعَادَةِ الْبَسْمَةِ إِلَى وَجْهِهَا الْحَزِينِ؟ أَرْجُو يَا صَدِيقِى أَنْ تُسَاعِدَنِى، فَإِنِّى حَزِينٌ مِنْ أَجْلِهَا.

رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ : إِنَّ قَلَقَكَ يَعِزُّ عَلَىَّ يَابُنَىَّ، وَلَكِنِّى لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَاعِدَكَ فِى هَذَا الْمَوْضُوعِ. وَلَكِنْ لِحُبِّى لَكَ وَاعْتِرَافِى بِمَعْرُوفِكَ سَآتِيكَ بِمَنْ يُسَاعِدُكَ فِيمَا تُرِيدُ.

صَاحَ الْأَمِيرُ فَرِحًا : وَسَأَظَلُّ مَدِينًا لَكَ طُولَ الْعُمْرِ.

تَرَكَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَكَانَ، وَأَدَارَ وَجْهَهُ نَاحِيَةَ الْقَمَرِ وَصَفَّقَ مَرَّتَيْنِ، وَنَادَى بِصَوْتٍ جَهْوَرِىٍّ: كُوكِى كُوكِى، نَحْنُ جَمِيعًا فِى انْتِظَارِكِ.. نَرْجُو مُسَاعَدَتَكِ، وَوَعْدٌ مِنَّا نَحْفَظُ أَسْرَارَكِ..

وَفَجْأَةً أَظْلَمَ الْمَكَانُ وَأَضَاءَ أَسْرَعَ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرِ، وَظَهَرَتْ فِى الْأُفُقِ سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ يَصِلُ طُولُهَا إِلَى خَمْسَةِ أَمْتَارٍ، وَتَلْبَسُ مَلَابِسَ حَمْرَاءَ جَمِيلَةً.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : كُوكِى.. السَّاحِرَةُ الطَّيِّبَةُ صَدِيقَتُنَا.. وَهَذَا الْأَمِيرُ بَدْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَشُورَتِكِ، وَنَحْنُ نَطْمَعُ أَنْ تُسَاعِدِيهِ فِيمَا يَطْلُبُ.

نَظَرَتِ السَّاحِرَةُ إِلَى الأَمِيرِ بَدْرٍ وَقَالَتْ : إِنَّ مَطَالِبَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ مُنَفَّذَةٌ وَلَكِنَّكَ تَعْرِفُ شَرْطِي. هَلْ يَسْتَطِيعُ الأَمِيرُ أَنْ يَحْفَظَ السِّرَّ؟

رَدَّ الأَمِيرُ عَلَى الْفَوْرِ : أُعَاهِدُكِ بِأَنْ أَحْفَظَ كُلَّ أَسْرَارِكِ.

قَالَتِ السَّاحِرَةُ : إِذَنْ فَلَكَ مَا تَطْلُبُ. وَنَظَرَتْ طَوِيلاً إِلَى مِرْآةٍ صَغِيرَةٍ فِي يَدَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ : لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِتَتَخَلَّصَ الأَمِيرَةُ «زَهْرَةُ الشَّمْسِ» مِنْ سِحْرِهَا اللَّعِينِ.

قَالَ الأَمِيرُ : أَيُّ شَيْءٍ يَهُونُ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِ الأَمِيرَةِ «زَهْرَةِ الشَّمْسِ».





فَوَاصَلَتِ السَّاحِرَةُ كَلِمَاتِهَا: سَأُعْطِيكَ هَدِيَّتِى. وَأَخْرَجَتْ رِيشَةً ذَهَبِيَّةً جَمِيلَةً وَقَالَتْ: هَذِهِ الرِّيشَةُ الذَّهَبِيَّةُ أَمَانَةٌ فِى عُنُقِكَ، وَعِنْدَمَا تُعْطِيهَا إِلَى صَاحِبِهَا سَتَجِدُ طَرِيقَكَ وَحْدَكَ إِلَى أَمِيرَتِكَ «زَهْرَةِ الشَّمْسِ»، فَصَاحِبُ الرِّيشَةِ الذَّهَبِيَّةِ فِى أَوَّلِ الطَّرِيقِ إِلَى بِلَادِ «شِيكُورْيَا»، وَإِلَى أَمِيرَتِكَ الحَزِينَةِ.

قَالَ الأَمِيرُ : وَمَنْ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الرِّيشَةِ الْغَرِيبَةِ؟

قَالَتِ السَّاحِرَةُ : الْعَنْدَلِيبُ الصَّدَّاحُ.

تَدَخَّلَ أَبُو الْحَسَنِ فِى الْحَدِيثِ قَائِلًا: أَرْجُو مِنْكِ يَاكُوكِى أَنْ تُسَهِّلِى مَأْمُورِيَّةَ الأَمِيرِ بَدْر.

رَدَّتِ السَّاحِرَةُ كُوكِى : لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ أَضَعَهُ أَمَامَ أَوَّلِ الطَّرِيقِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتْبَعَ صَوْتَ ضَمِيرِهِ، لِيَكُونَ جَدِيرًا بِالأَمِيرَةِ «زَهْرَةِ الشَّمْسِ». وَعِنْدَمَا يُعِيدُ رِيشَةَ الْعَنْدَلِيبِ سَيَصِلُ إِلَى مَا يُرِيدُ.

وَأَخَذَ الأَمِيرُ الرِّيشَةَ الذَّهَبِيَّةَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ إِعْجَابِهِ بِالرِّيشَةِ الذَّهَبِيَّةِ، فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ: إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْمَعَ صَوْتًا آخَرَ غَيْرَ صَوْتِ ضَمِيرِكَ وَأَمَانَتِكَ وَحُبِّكَ لِلْخَيْرِ، وَإِلَّا سَتَكُونُ الْعَاقِبَةُ سَيِّئَةً.

قَالَ الأَمِيرُ : أَشْكُرُكِ، وَسَأَذْكُرُكِ دَائِمًا بِالْخَيْرِ، وَالآنَ سَأَذْهَبُ لِأُوَدِّعَ أَصْدِقَائِى وَنَبْدَأَ الرِّحْلَةَ فَوْرًا.

قَالَتِ السَّاحِرَةُ : إِذَنْ أَغْمِضْ عَيْنَيْكَ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ سَتَكُونُ عِنْدَ أَوَّلِ الطَّرِيقِ، وَاللَّهُ يُوَفِّقُكَ.

أَغْمَضَ الأَمِيرُ بَدْرٌ عَيْنَيْهِ وَفَتَحَهُمَا، فَإِذَا بِهِ أَمَامَ طَرِيقٍ طَوِيلٍ مُوحِشٍ، مَمْلُوءٍ بِالأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ. لَا يَفْهَمُ الأَصْوَاتَ الَّتِي يَسْمَعُهَا، أَهِيَ غِنَاءٌ، أَمْ عَوِيلٌ، أَمْ تَغْرِيدُ عَصَافِيرَ، وَبَدَأَ الأَمِيرُ رِحْلَتَهُ لِلْبَحْثِ عَنِ الْعَنْدَلِيبِ الصَّدَّاحِ، وَظَهَرَ الْقَمَرُ إِيذَانًا بِحُلُولِ اللَّيْلِ، وَمَازَالَ الأَمِيرُ بَدْرٌ يُسْرِعُ فِي سَيْرِهِ إِلَى أَنْ نَالَ مِنْهُ التَّعَبُ، فَجَلَسَ لِيُغْمِضَ عَيْنَيْهِ قَلِيلًا وَأَغْفَى فَتْرَةً لِيَصْحُوَ عَلَى دِفْءِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، وَعِنْدَمَا هَمَّ لِيُوَاصِلَ رِحْلَتَهُ سَمِعَ أَنِينًا خَافِتًا مُتَأَلِّمًا، فَنَظَرَ حَوْلَهُ يَبْحَثُ عَنْ مَصْدَرِ هَذَا الأَنِينِ، فَوَجَدَ عُصْفُورًا صَغِيرًا أَبْيَضَ اللَّوْنِ جَرِيحًا يَئِنُّ مِنَ الأَلَمِ.

أَخَذَ الأَمِيرُ بَدْرٌ الْعُصْفُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَطَعَ مِنْ مَلَابِسِهِ شَرِيطًا لِيَضْمِدَ لِلْعُصْفُورِ جُرْحَهُ، وَظَلَّ بِجَانِبِهِ طُولَ الْيَوْمِ إِلَى أَنِ اطْمَأَنَّ إِلَى الْتِئَامِ الْجُرْحِ. فَتَرَكَهُ وَبَدَأَ رِحْلَتَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، غَيْرَ أَنَّ صَوْتًا فَصِيحًا اسْتَوْقَفَهُ قَائِلًا: «أَشْكُرُكَ يَا صَدِيقِي، لَقَدْ أَنْقَذْتَ حَيَاتِي».

فَزِعَ الأَمِيرُ، وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ فَوَجَدَ الْعُصْفُورَ الأَبْيَضَ قَدْ بَدَأَ يُحَاوِلُ الطَّيَرَانَ مَرَّةً أُخْرَى، تَحَدَّثَ إِلَيْهِ الْعُصْفُورُ وَكَرَّرَ شُكْرَهُ قَائِلًا: أَيَّ شَيْءٍ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُقَدِّمَهُ لَكَ لِأَرُدَّ بِهِ مَعْرُوفَكَ يَا صَاحِبِي؟

قَالَ الأَمِيرُ : وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ لِي شَيْئًا؟

قَالَ الْعُصْفُورُ الأَبْيَضُ : حَقًّا أَنَا صَغِيرُ الْحَجْمِ، وَلَكِنِّي رُبَّمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ مَا تَطْلُبُهُ.

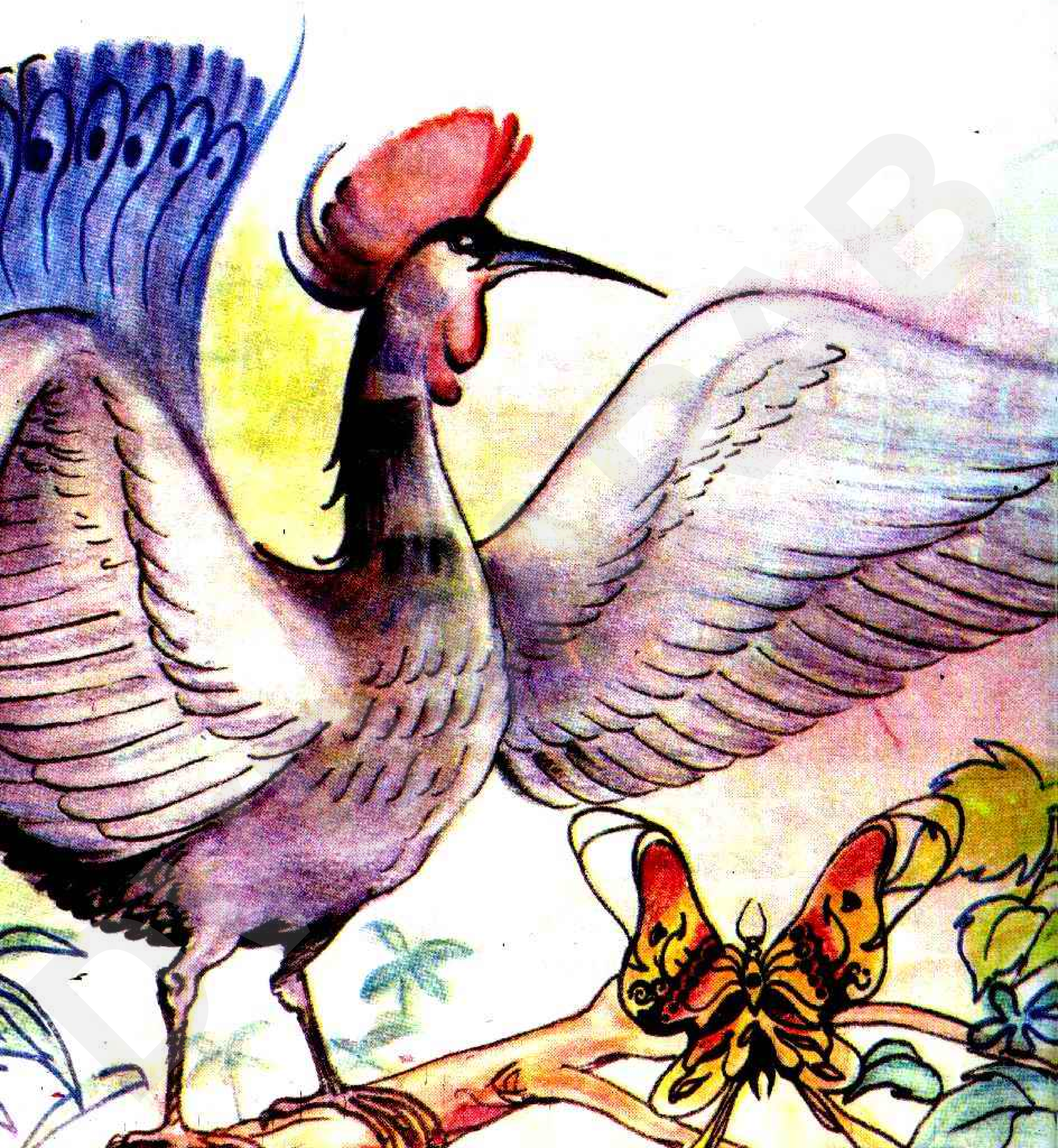
قَالَ الأَمِيرُ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدُلَّنِي عَلَى مَكَانِ الْعَنْدَلِيبِ؟

قَالَ الْعُصْفُورُ : أَتَوَدُّ أَنْ تُقَابِلَهُ؟

قَالَ الأَمِيرُ : نَعَمْ.



قَالَ الْعُصْفُورُ : إِنَّ الْعَنْدَلِيبَ الصَّدَّاحَ لاَيُقَابِلُ مَخْلُوقًا . . وَلَكِنِّى سَأُحَاوِلُ أَنْ أُقْنِعَهُ بِلِقَائِكَ، إِنَّكَ طَيِّبُ الْقَلْبِ، وَرُبَّمَا وَافَقَ الْعَنْدَلِيبُ عَلَى تَنْفِيذِ رَغْبَتِكَ.



رَدَّ الأَمِيرُ مُؤَكِّدًا : حَقًّا مَا أَقُولُ، وَسَأُخْبِرُ الْعَنْدَلِيبَ عَنْ مَكَانِ رِيشَتِهِ.

سَمِعَ الْعُصْفُور هَذَا الْكَلَامَ وَبَدَأَ فِي طَيَرَانِهِ الْمُنْخَفِضِ، وَطَلَبَ مِنَ الأَمِيرِ أَنْ يَتْبَعَهُ، وَفَجْأَةً هَبَّتْ رِيَاحٌ عَاتِيَةٌ، فَأَخَذَهُ الأَمِيرُ وَأَخْفَاهُ بَيْنَ طَيَّاتِ مَلَابِسِهِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْعَاصِفَةِ. وَجَلَسَ بِجِوَارِ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ مُنْتَظِرًا إِنْتِهَاءَ الْعَاصِفَةِ.

وَلَمْ يَعْلَمِ الأَمِيرُ كَمْ مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْوَقْتِ، وَلَكِنَّهُ أَغْفَى قَلِيلًا لِيَجِدَ الشَّمْسَ قَدْ أَشْرَقَتْ، وَالْعَاصِفَةَ قَدْ هَدَأَتْ، فَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، وَأَخْرَجَ الْعُصْفُورَ وَبَدَأَ يَسْتَعِدُّ لِمُوَاصَلَةِ رِحْلَتِهِ.

قَالَ الْعُصْفُورُ : إِنَّهَا عَاصِفَةٌ مِنْ صُنْعِ السَّاحِرَةِ الشِّرِّيرَةِ، فَهِيَ تَكْرَهُ الْعَنْدَلِيبَ، وَيَبْدُو أَنَّهَا تُحَاوِلُ أَنْ تَمْنَعَ لِقَاءَكَ بِهِ.

فَرَدَّ الأَمِيرُ : إِذَنْ هَيَّا بِنَا نُسْرِعُ قَبْلَ أَنْ تُعَاوِدَ شُرُورَهَا.

وَاصَلَ الصَّدِيقَانِ رِحْلَتَهُمْ لِلِقَاءِ الْعَنْدَلِيبِ الصَّدَّاحِ، وَعِنْدَ نِهَايَةِ الطَّرِيقِ أَوْقَفَهُ الْعُصْفُورُ وَطَلَبَ مِنْهُ الانْتِظَارَ، حَتَّى يَذْهَبَ وَحْدَهُ لِلْعَنْدَلِيبِ لِيَسْتَأْذِنَ مِنْهُ فِي لِقَاءِ الأَمِيرِ بَدْرٍ. وَوَافَقَ الأَمِيرُ، وَجَلَسَ إِلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ يُفَكِّرُ فِي ذَاتِ الشَّعْرِ الذَّهَبِيِّ، وَبَيْنَمَا هُوَ غَارِقٌ فِي التَّفْكِيرِ أَفَاقَ عَلَى صَوْتِ صَدِيقِهِ الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ وَهُوَ يَقُولُ: تَعَالَ يَا صَدِيقِي، مَرْحَى مَرْحَى لَقَدْ وَافَقَ الْعَنْدَلِيبُ عَلَى لِقَائِكَ، وَمَشَى الصَّدِيقَانِ حَتَّى نِهَايَةِ غَابَةٍ كَثِيفَةٍ، وَعِنْدَ بَوَّابَةٍ كَبِيرَةٍ مُغْلَقَةٍ اِسْتَأْذَنَهُ الْعُصْفُورُ فِي الانْطِلَاقِ وَقَالَ لَهُ: خَلْفَ هَذِهِ الْبَوَّابَةِ سَتَرَى الْعَنْدَلِيبَ، وَلَكِنْ إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ كَمَا حَذَّرْتُكَ مِنْ قَبْلُ. وَدَاعًا

يَا صَدِيقِى، هُنَا تَنْتَهِى مُهِمَّتِى، وَأَدْعُو اللهَ لَكَ بِالتَّوْفِيقِ.

وَدَّعَ الْأَمِيرُ بَذْرَ صَدِيقَهُ الْعُصْفُورَ وَوَقَفَ حَائِرًا أَمَامَ الْبَوَّابَةِ، ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ فَلَمْ يَسْمَعْ مُجِيبًا، فَطَرَقَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً فَإِذَا بِصَوْتٍ جَمِيلٍ حَزِينٍ يَسْمَحُ لَهُ بِالدُّخُولِ.

وَدَخَلَ الأَمِيرُ فَرَأَى آيَةً مِنْ جَمَالِ الطَّبِيعَةِ، رَأَى أَزْهَارًا وَأَشْجَارًا مُنَسَّقَةً، وَطُيُورًا مُلَوَّنَةً كَأَنَّهَا صُوَرٌ مُجَسَّمَةٌ. وَجَالَ الْأَمِيرُ بِبَصَرِهِ مُتَعَجِّبًا لِهَذَا الْجَمَالِ السَّاحِرِ الْبَاهِرِ، فَكُلُّ شَىْءٍ فِى الْحَدِيقَةِ الْكَبِيرَةِ جَامِدٌ وَكَأَنَّهُ صُورَةٌ مَرْسُومَةٌ لَا رُوحَ فِيهَا، أَفَاقَ الْأَمِيرُ على صَوْتٍ يَقُولُ لَهُ: مَرْحَبًا..

قَالَ الْأَمِيرُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ.

رَدَّ الصَّوْتُ : وَعَلَيْكُمْ أَحْسَن مِمَّا قُلْتُم.

نَظَرَ الْأَمِيرُ حَوْلَهُ حَتَّى يَرَى مَصْدَرَ الصَّوْتِ ولَكِنْ بِدُونِ جَدْوَى، وَعَادَ الصَّوْتُ يَقُولُ: هل مِنْ خِدْمَةٍ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُؤَدِّيهَا لَكَ أَيُّهَا الْغَرِيبُ؟

قَالَ الْأَمِيرُ : أَوَدُّ لِقَاءَ الْعَنْدَلِيبِ.. لَدَىَّ أَمَانَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَلِّمَهَا إِلَّا لَهُ شَخْصِيًّا.

رَدَّ الصَّوْتُ : تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسَلِّمَهَا لِى، وَأَنَا بِدَوْرِى سَأُسَلِّمُهَا لَهُ. لِأَنَّهُ لَا يُقَابِلُ الْغُرَبَاءَ.

قَالَ الْأَمِيرُ : لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَلِّمَهَا إِلَّا لَهُ، فَهِىَ أَمَانَةٌ، وَالْأَمَانَةُ لَا تُؤَدَّى إِلَّا لِأَهْلِهَا، كَمَا أَنِّى لَسْتُ غَرِيبًا، فَأَنَا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا.

وَرَدَّ الصَّوْتُ : إِذَا كُنْتَ تَقُولُ الصِّدْقَ فَأَغْمِضْ عَيْنَيْكَ ثُمَّ افْتَحْهُمَا بَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ.

أَغْمَضَ الْأَمِيرُ عَيْنَيْهِ وَفَتَحَهُمَا بَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا قَالَ لَهُ الصَّوْتُ الْحَزِينُ، وَمَا إِنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ حَتَّى رَأَى أَمَامَهُ أَجْمَلَ طَائِرٍ رَأَتْهُ عَيْنَاهُ، رَأَى طَائِرًا جِسْمَهُ مُغَطًّى بِرِيشٍ مِنَ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ، مَا عَدَا رِيشَتَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ تَمَامًا، مِثْلَ الرِّيشَةِ الَّتِي مَعَهُ، وَالَّتِي أَعْطَتْهَا لَهُ السَّاحِرَةُ كُوكِي.

وَنَظَرَ إِلَى رَأْسِهِ فَوَجَدَ مَكَانَ الرِّيشَةِ الذَّهَبِيَّةِ النَّاقِصَةِ، وَأَطَالَ النَّظَرَ إِلَى عَيْنَيْهِ فَوَجَدَهُمَا حَزِينَتَيْنِ دَامِعَتَيْنِ.

وَقَالَ الْأَمِيرُ مَبْهُورًا : أَنَا سَعِيدٌ جِدًّا بِرُؤْيَتِكَ أَيُّهَا الْعَنْدَلِيبُ، وَسَأَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ إِذَا اسْتَمْتَعْتُ بِغِنَائِكَ الْجَمِيلِ.

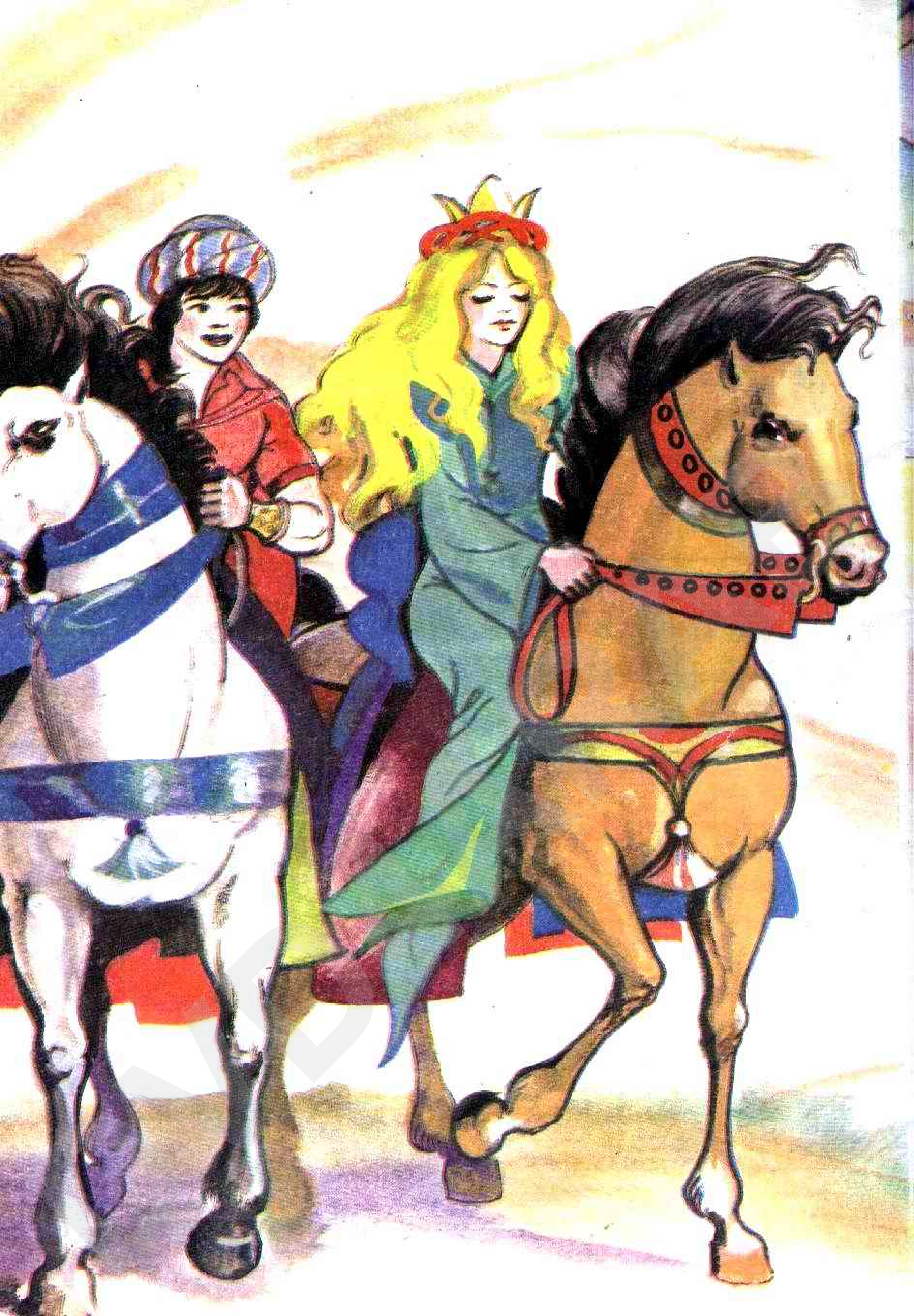
قَالَ الْعَنْدَلِيبُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ: هَذَا لَنْ يَحْدُثَ إِلَّا عِنْدَمَا أَسْتَعِيدُ رِيشَتَيِ الذَّهَبِيَّةَ، وَبِذَلِكَ يَزُولُ سِحْرُ السَّاحِرَةِ الشِّرِّيرَةِ، وَتَعُودُ الْحَيَاةُ إِلَى الْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالطُّيُورِ. ثُمَّ صَمَتَ لَحْظَةً وَقَالَ : لَقَدْ قُلْتَ لِي إِنَّكَ تَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَى رِيشَتِي الذَّهَبِيَّةِ فَمَاذَا تُرِيدُ فِي مُقَابِلِهَا..؟ أَتُرِيدُ ذَهَبًا أَمْ فِضَّةً.. أَيُّ كُنُوزِ الْأَرْضِ تُرْضِيكَ؟

رَدَّ الْأَمِيرُ : أَنَا لَا أُرِيدُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً، أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَمْحُوَ الْحُزْنَ وَالدَّمْعَ مِنْ عَيْنَيِ الْإِنْسَانَةِ الَّتِي أُحِبُّهَا.

قَالَ الْعَنْدَلِيبُ الصَّدَّاحُ : لَوْ كَانَ فِي اسْتِطَاعَتِي أَنْ أَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَرَى ابْتِسَامَةً فِي وَجْهِ مَخْلُوقٍ لَفَعَلْتُ.

قَالَ الْأَمِيرُ : رِيشَتُكَ سَتَكُونُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَكَ أَنْ تُسْعِدَنِي بِتَنْفِيذِ مَا أُرِيدُ..

قَالَ الْعَنْدَلِيبُ : الْعَنْدَلِيبُ يَفِي دَائِمًا بِوُعُودِهِ.



وعِنْدَما سَمِعَ الْأَمِيرُ وعدَ الْعَنْدَلِيبِ أَخْرَجَ الرِّيشَةَ الذَّهَبِيَّةَ مِنْ بَيْنِ ثِيَابِهِ وَقَدَّمَهَا لِلْعَنْدَلِيبِ، وَظَلَّ يَرْقُبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . . دَمَعَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْفَرْحَةِ وَهُوَ يَرى الْعَنْدَلِيبَ الصَّدَّاحَ يَضَعُ رِيشَتَهُ مَكَانَهَا وَيَطِيرُ رَاقِصًا مُغَرِّدًا بِأَجْمَلِ الْأَنْغَامِ وَالْأَلْحَانِ، وَاتَّجَهَ الْعَنْدَلِيبُ الصَّدَّاحُ فَرِحًا إِلَى الْأَمِيرِ وَقَالَ لَهُ :

والآن جَاءَ وَقْتُ رَدِّ الجميل . . قُلْ مَا تُرِيدُ سَرِيعًا يَتَحَقَّقُ لَكَ فِى الْحَالِ .

أَخْرَجَ الْأَمِيرُ كُرَتَهُ الْبَلُّورِيَّةَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَظَهَرَتْ صُورَةُ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ وَهِىَ حَزِينَةٌ وَقَالَ : انْظُرْ أَيُّهَا الْعَنْدَلِيبُ، هَا هِىَ ذِى الفَتَاةُ الْحَزِينَةُ. فَقَالَ لَهُ الْعَنْدَلِيبُ مُقَاطِعًا : أَعْرِفُهَا، إِنَّهَا الْأَمِيرَةُ « زَهْرَةُ الشَّمْسِ » وَقَدْ أُصِيبَتْ بِلَعْنَةِ السَّاحِرَةِ الَّتِى وَضَعَتْ قَدَمَيْهَا فِى الْبِئْرِ الْمَسْحُورَةِ، وَهَذَا هُوَ سِرُّ شَقَائِهَا.

فَأَجَابَ الْأَمِيرُ مُنْدَهِشًا : وَهَلْ هُنَاكَ بِئْرٌ مَسْحُورَةٌ تَجْعَلُ الْأَقْدَامَ كَبِيرَةً؟

رَدَّ الْعَنْدَلِيبُ : نَعَمْ إِنَّهَا بِئْرٌ مَهْجُورَةٌ فِى غَابَةِ الْحُورِيَّاتِ، وسَأُعْطِيكَ سِرَّ هَذِهِ الْبِئْرِ لِتَسْتَعْمِلَ مَاءَهَا، بِشَرْطِ أَنْ تَحْتَفِظَ بِسِرِّ الْبِئْرِ لِنَفْسِكَ فَقَطْ.

قَالَ الْأَمِيرُ : وَهَلْ سَتُفِيدُنِى هَذِهِ الْبِئْرُ؟ إِنَّنِى أُرِيدُ أَنْ تَعُودَ قَدَمَا الْأَمِيرَةِ صَغِيرَتَيْنِ كَمَا كَانَتَا مِنْ قَبْلُ.

قَالَ الْعَنْدَلِيبُ : سَنَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ الْبِئْرِ فِيمَا بَعْدُ. أَمَّا عَنِ الْأَمِيرَةِ فَإِنَّ بِجِوَارِ الْبِئْرِ بُحَيْرَةً صَافِيَةً، وَعَلَى شَاطِئِهَا شَجَرَةُ صَفْصَافٍ كَبِيرَةٌ، سَتَأْخُذُ الْأَمِيرَةَ إِلَى هُنَاكَ، وَتَقِفُ عِنْدَ الْبُحَيْرَةِ وَتَقُولُ : «يَا سَمَكَةُ يَاذَهَبِيَّةُ . . أَحْضَرِى وَنَفِّذِى وَعْدَكِ لِى» وَعِنْدَمَا تُشَاهِدُ السَّمَكَةَ الذَّهَبِيَّةَ، تَغْسِلُ الْأَمِيرَةُ قَدَمَيْهَا فِى

الْبُحَيْرَةِ.. عِنْدَئِذٍ سَتَعُودُ قَدَمَاهَا صَغِيرَتَيْنِ كَمَا كَانَتَا..

شَكَرَهُ الْأَمِيرُ عَلَى مَعُونَتِهِ وَهَمَّ بِالانْصِرَافِ، فَاسْتَوْقَفَهُ الْعَنْدَلِيبُ قَائِلًا:

سَأُوَفِّرُ لَكَ مَشَقَّةَ الطَّرِيقِ إِلَى قَصْرِ الأَمِيرَةِ، وَلَكِنْ عِنْدَ الْعَوْدَةِ سَتَتْبَعُ صَوْتَ غِنَائِي لِتَصِلَ إِلَى الْبِئْرِ الْمَسْحُورَةِ وَبُحَيْرَةِ السَّمَكَةِ الذَّهَبِيَّةِ، فَوَدَاعًا، أَوْ إِلَى اللِّقَاءِ أَيُّهَا الصَّدِيقُ الطَّيِّبُ، الْآنَ أَغْمِضْ عَيْنَيْكَ دَقِيقَةً وَافْتَحْهُمَا تَجِدْ نَفْسَكَ أَمَامَ قَصْرِ الْأَمِيرَةِ.

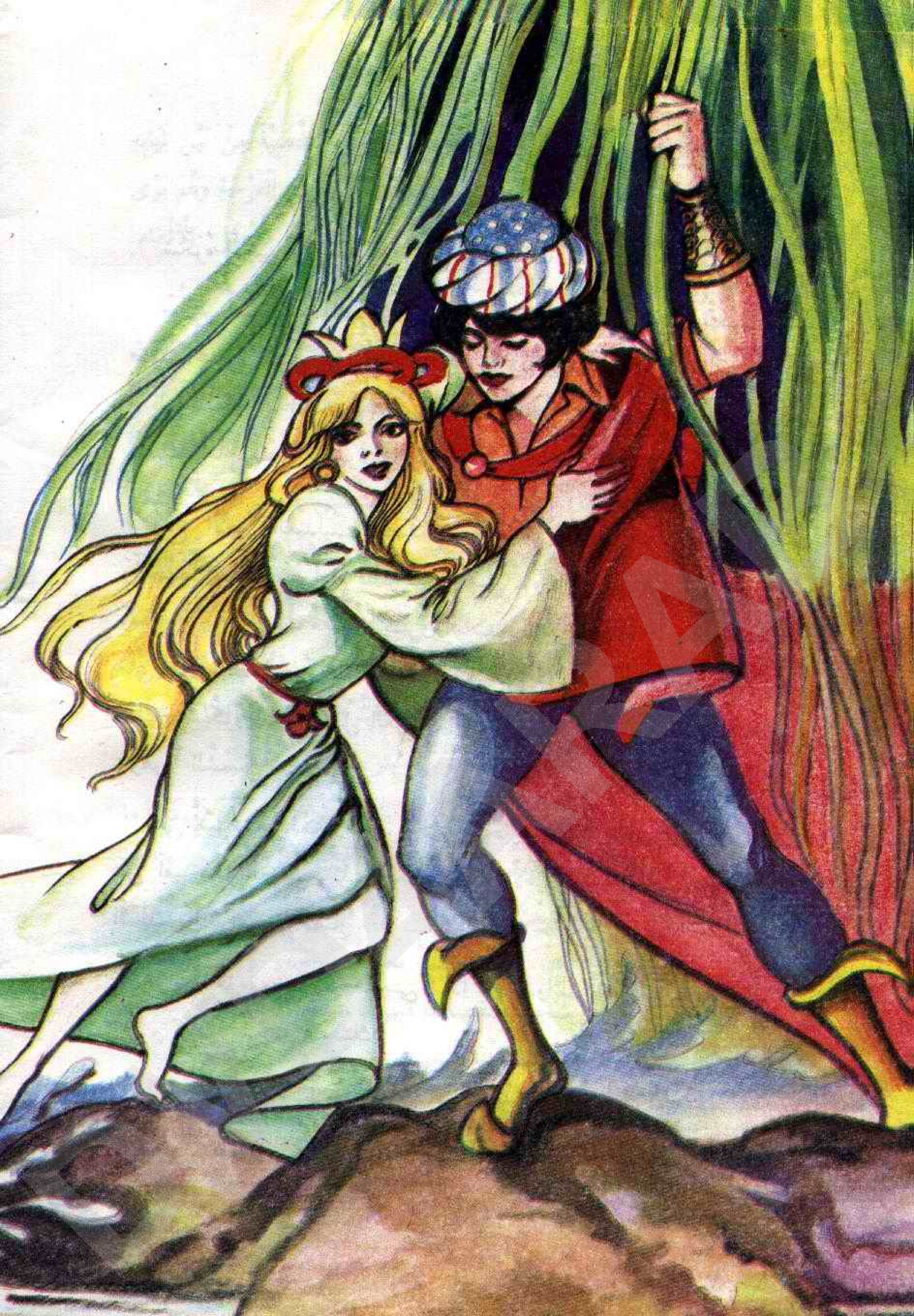
وَدَّعَ الْأَمِيرُ الْعَنْدَلِيبَ الصَّدَّاحَ، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ كَمَا أَمَرَهُ الْعَنْدَلِيبُ وَفَتَحَهُمَا لِيَجِدَ نَفْسَهُ أَمَامَ قَصْرٍ كَبِيرٍ جَمِيلٍ، رَآهُ مِنْ قَبْلُ فِي كُرَتِهِ الْبَلُّورِيَّةِ. وَلَكِنَّ الْأَبْوَابَ كَانَتْ مُغْلَقَةً، فَطَرَقَ الْبَابَ الرَّئِيسِيَّ وَجَاءَهُ حَارِسَانِ يَسْتَطْلِعَانِ مَايُرِيدُ، وَطَلَبَ الأَمِيرُ لِقَاءَ مَلِكِ بِلَادِ «شِيكُورْيَا»، فَطَرَدَهُ الْحَارِسُ قَائِلًا: إِنَّ مَلِكَ «شِيكُورْيَا» لَا يُقَابِلُ الْغُرَبَاءَ. قَالَ الْأَمِيرُ: لَدَيَّ الدَّوَاءُ لِشِفَاءِ الْأَمِيرَةِ «زَهْرَةِ الشَّمْسِ».

وَفِي أَسْرَعِ مِنْ لَمْحِ الْبَصَرِ اخْتَفَى الْحَارِسُ دَاخِلَ الْقَصْرِ، وَأَخْبَرَ الْمَلِكَ عَنْ أَمْرِ هَذَا الْغَرِيبِ الَّذِي يَحْمِلُ دَوَاءَ الْأَمِيرَةِ «زَهْرَةِ الشَّمْسِ». وَأَمَرَ الْمَلِكُ الْحُرَّاسَ بِإِحْضَارِ الْغَرِيبِ.. ولما حَضَرَ.. سَأَلَهُ:

- أَحَقًّا مَا سَمِعْتُ مِنْ حَارِسِي؟ إِذَا كَانَ لِدَوَائِكَ نَفْعٌ فَسَوْفَ أُجَازِيكَ كُلَّ خَيْرٍ، وَإِذَا فَشِلْتَ سَجَنْتُكَ.

قَالَ الْأَمِيرُ: لَا أُرِيدُ جَزَاءً، بَلْ أُرِيدُ الزَّوَاجَ مِنَ الْأَمِيرَةِ.

تَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ طَلَبِ هَذَا الأَمِيرِ الْغَرِيبِ عَنْ بِلَادِهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ،



وَمِنْ أَىِّ الْبِلَادِ قَدِمَ، وَإِلَى أَىِّ الْأُسَرِ يَنْتَمِى . . وَعِنْدَمَا حَكَى لَهُ الْأَمِيرُ بَدْرٌ حِكَايَتَهُ ظَهَرَ الْارْتِيَاحُ وَالسُّرُورُ عَلَى وَجْهِ الْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ : لَكَ مَا تُرِيدُ، سَتَكُونُ الْأَمِيرَةُ زَوْجَةً لَكَ إِذَا اسْتَطَعْتَ شِفَاءَهَا.

قَالَ الْأَمِيرُ : كُلُّ مَا أَطْلُبُهُ مِنْكَ أَنْ تَسْمَحَ لِى بِمُصَاحَبَةِ الْأَمِيرَةِ فِى رِحْلَةٍ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ومَعَنَا الحُرَّاسُ . . وَسَأَعُودُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ شُفِيَتِ الأميرةُ بِإِذْنِ الله . .

وَافَقَ الْمَلِكُ، وَأَمَرَ بِإِعْدَادِ الزَّادِ وَالْحَرَسِ لِرِحْلَةِ الْأَمِيرَةِ وَالْأَمِيرِ، وَأَعْطَاهُ حِصَانَيْنِ وَاسْتَدْعَى الأَمِيرَةَ وَأَخْبَرَهَا أَنَّ الْغَرِيبَ سَيَصْحَبُهَا لِيَشْفِيهَا مِنْ دَائِهَا . أَطَاعَتِ الْأَمِيرَةُ وَالِدَهَا عَلَى الْفَوْرِ، وَبَدَأَتِ الرِّحْلَةُ إِلَى بُحَيْرَةِ السَّمَكَةِ الذَّهَبِيَّةِ. وَكَانَتِ عَيْنَا الأَمِيرَةِ لَاتَكُفَّانِ عَنِ الدَّمْعِ ، فَحَاوَلَ الْأَمِيرُ جَاهِدًا أَنْ



يُسلِّيهَا، ثُمَّ حَكَى لَهَا بِأَجْمَلِ الْحِكَايَاتِ حَتَّى تَبْتَسِمَ .. وَلَكِنْ بِدُونِ جَدْوَى.

وَأَخِيرًا أَخَذَ يَحْكِي لَهَا حِكَايَتَهُ، وَكَيْفَ أَنَّهُ حُرِمَ الْعَيْشَ فِي قَصْرِ وَالِدِهِ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ فِي بِلَادِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، لِأَنَّ قَدَمَيْهِ صَغِيرَتَانِ. فَضَحِكَتِ الْأَمِيرَةُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَقَالَتْ: عَجَبًا، إِنَّ مَا يُبْكِينِي هُوَ نَفْسُهُ مَا يُسْعِدُكَ!

قَالَ لَهَا الْأَمِيرُ: الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُسْعِدُنِي هُوَ أَنْ أَرَى هَذِهِ الِابْتِسَامَةَ عَلَى وَجْهِكِ.

قَالَتِ الْأَمِيرَةُ: تَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ تَعُودَ إِلَى بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ تَغْسِلَ قَدَمَيْكَ فِي الْبِئْرِ الْمَسْحُورَةِ.

قَالَ الْأَمِيرُ: اللَّهُ يَفْعَلُ الخَيْرَ يا (زَهْرَةَ الشَّمْس).

وَظَلَّ الْأَمِيرُ يَسْتَحِثُّ الْجِيَادَ حَتَّى يُنْهِيَ رِحْلَتَهُ بِسَلَامٍ، وَيَعُودَ بالأَمِيرَةِ إِلَى بِلَادِهَا، وَظَلَّ يَسْتَمِعُ إِلَى غِنَاءِ الْعَنْدَلِيبِ وَيَتْبَعُهُ وَيَسِيرُ فِي اتِّجَاهِ الصَّوْتِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْبُحَيْرَةِ الْمَسْحُورَةِ، بُحَيْرَةِ السَّمَكَةِ الذَّهَبِيَّةِ، وَوَقَفَ هُوَ وَالْأَمِيرَةُ تَحْتَ شَجَرَةِ الصَّفْصَافِ وَهُوَ يُنَادِي: «يَاسَمَكَةُ يا ذَهَبِيَّةُ، احْضَرِي وَنَفِّذِي وَعْدَكِ لِي».

ولَمّا رَأَى السَّمَكَةَ الذَّهَبِيَّةَ نادَى الْأَمِيرَةَ بِسُرْعَةٍ لِتَضَعَ قَدَمَيْهَا فِي مَاءِ الْبُحَيْرَةِ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ وَجَدَتِ الأَمِيرَةُ قَدَمَيْهَا تَتَحَوَّلَانِ إِلَى قَدَمَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ رَقِيقَتَيْنِ كَمَا كَانَتَا مِنْ قَبْلُ. وَصَفَّقَتْ بِيَدَيْهَا فَرِحَةً مُبْتَهِجَةً وَشَكَرَتِ الأَمِيرَ شُكْرًا جَزِيلًا.

وَعَادَ الأَمِيرُ بَدْرٌ مَعَ الأَمِيرَةِ (زَهْرَةِ الشَّمْسِ)، وَنَفَّذَ الْمَلِكُ وَعْدَهُ، وَأَقَامَ

الْأَفْرَاحَ وَاللَّيَالِيَ الْمِلَاحَ لِلِاحْتِفَالِ بِزَوَاجِهِمَا، وَأَرْسَلَ إِلَى مَلِكِ بِلَادِ « الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ » يُخْبِرُهُ أَنَّ الْأَمِيرَ سَيُصْبِحُ مَلِكًا عَلَى « شِيكُورْيَا » بَعْدَ زَوَاجِهِ مِنَ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ.

وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ فِي غَمْرَةِ أَفْرَاحِهِ لَمْ يَنْسَ أَصْدِقَاءَهُ فِي « الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ » فَنَادَى أَبَا الْحَسَنِ وَعَرَّفَهُ بِالْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ، وَدَعَاهُمَا أَبُو الْحَسَنِ لِقَضَاءِ بَعْضِ الْوَقْتِ فِي بِلَادِهِ وَقَالَ: يُسْعِدُنِي أَنْ تَزُورَانِي فِي بِلَادِي عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ، وَبَعْدَ أَنْ تَعُودَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِلَى بِلَادِكَ وَتَتَوَلَّى الْحُكْمَ سَيَكُونُ لَنَا لِقَاءٌ هُنَاكَ.

وَسَكَتَ أَبُو الْحَسَنِ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: وَأَنْتَ تَعْرِفُ الْآنَ سِرَّ الْبِئْرِ الْمَسْحُورَةِ وَبُحَيْرَةِ السَّمَكَةِ الذَّهَبِيَّةِ، وَبِذَلِكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ كَبِيرَ الْقَدَمَيْنِ مَتَى شِئْتَ، وَصَغِيرَ الْقَدَمَيْنِ مَتَى أَرَدْتَ.

وَدَّعَ الْأَمِيرُ صَدِيقَهُ الْوَفِيَّ أَبَا الْحَسَنِ عَلَى وَعْدٍ بِلِقَاءٍ قَرِيبٍ فِي « الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ » وَاتَّفَقَ الْأَمِيرُ مَعَ الْأَمِيرَةِ عَلَى أَنْ يَذْهَبَا إِلَى مَدِينَةِ « الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ » لِيُقَابِلَ أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ، بَعْدَ أَنْ يَغْسِلَا أَقْدَامَهُمَا فِي الْبِئْرِ الْمَسْحُورَةِ، وَعِنْدَ الْعَوْدَةِ إِلَى بِلَادِ « شِيكُورْيَا » يَمُرَّانِ عَلَى بُحَيْرَةِ السَّمَكَةِ الذَّهَبِيَّةِ، وَيَغْسِلَانِ أَقْدَامَهُمَا فِي الْبُحَيْرَةِ لِتَعُودَ أَقْدَامًا صَغِيرَةً مَرَّةً أُخْرَى.

وَعَاشَ الْأَمِيرُ بَدْرٌ وَالْأَمِيرَةُ « زَهْرَةُ الشَّمْسِ » حَيَاةً سَعِيدَةً، يَتَنَقَّلَانِ بَيْنَ بِلَادِ « شِيكُورْيَا » وَبِلَادِ « الطَّوَاحِينِ السَّبْعِ » و « الْمَدِينَةِ الْخَضْرَاءِ » و « حَدِيقَةِ الْعَنْدَلِيبِ الصَّدَّاحِ »، و « غَابَةِ الْحُورِيَّاتِ ». وَعَاشَا فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ، وَحَكَمَا الْبِلَادَ بِالْحُبِّ وَالْعَدْلِ، وَأَنْجَبَا ثَلَاثَةً مِنَ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ.

***

أسئلة فى القصة

١ - ما هى الصفة التى تميز بها سكان مدينة «الطواحين السبع»؟
٢ - ما هى أمنيات الملك التى كان يدعو الله أن يحققها له؟
٣ - بماذا تميز شكل مولود الملكة الأخير؟
٤ - ماذا رأى الأمير «بدر» تحت قبعته؟
٥ - ما هى أهم صفات المدينة الخضراء؟
٦ - ما هو السبب الذى جعل أهل المدينة الخضراء يعيشون فى حزن ووجوم؟
٧ - ماذا قدم أبو الحسن إلى الأمير «بدر»؟
٨ - ماذا رأى الأمير بدر فى الكرة البلُّورية؟
٩ - ما سبب حزن الأميرة «زهرة الشمس»؟
١٠ - ماذا طلب الأمير من ملك «شيكوريا»، إذا تمكن من شفاء الأميرة «زهرة الشمس»؟

رقم الإيداع	١٩٩٩/٧٦٣٥	
الترقيم الدولى	977-02-5838-5	ISBN

٤٠/٩٩/٧ طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)